

**John and Jill Kinahan (eds.), African Archaeology Network:
Research in Progress, (Studies in the African Past, Ser. 5, Dar es-Salam
University Press Ltd.), Dar es-Salam, 2006. ISBN 9976-473-60-4 (Tanzania) –
ISBN 99916 – 779 – 33 – (Namibia).**

حمد بن محمد بن صراي

أستاذ مشارك في قسم التاريخ والآثار، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة الإمارات

وهذا الكتاب عبارة عن مجموعة من البحوث والدراسات الميدانية والنظرية حول تاريخ وآثار شرق أفريقيا في حقبة زمنية مختلفة. وهو مقدم لروح عالم الآثار المالي تريبيا توجولا مدير المركز الوطني للثقافة والتراث بمالي. ويوجد تعريف واف به في آخر الكتاب من ص. ٢٤٣ إلى ص. ٢٧٤). يتألف الكتاب من ٢٤٨ صفحة، وهو مليء بالصور والخرائط والرسومات والجداول والرسوم البيانية. وهو ضمن سلسلة دراسات الماضي الأفريقي، ورقمه ٥ في السلسلة. ويشرف على تحرير وإصدار هذه السلسلة مجموعة من علماء الآثار الأفارقة وهم فيليكس شامي (Felix Chami) وجيلبرت بوتي (Gilbert Pwiti) وشانتال راديملاهي (Chantal Radimilahy). وتساهم في إصدارات السلسلة هيئة آثار ناميبيا بالتعاون مع جامعة دار السلام بتنزانيا. وفي بداية الكتاب خارطة للقارة الأفريقية عليها تحديدات كل المواقع الأثرية التي وردت الإشارة إليها في الكتاب. كما ذكر في المقدمة قائمة بأسماء المشاركين في إعداد وكتابة البحوث ووظائفهم ورتبهم العلمية ومحالات عملهم وميادين دراساتهم. إضافة إلى توطئة حول سلسلة دراسات ماضي أفريقيا وما قدمته من مشاريع علمية ودراسات ميدانية.

البحث الأول (ص. ١ - ١٤) بعنوان (تقرير أولي حول آثار العصر الهولوسيني في قاعدة مجمع أواسب جوراسيس بجنوب صحراء ناميبيا) لجون وجيل كيناهان. وركز البحث على ما عثر عليه من دلائل أثرية في المنطقة تشير إلى استيطان بشري في تلك الفترة. وتمثلت نشاطات السكان في الصيد والجمع والالتقاط وهي مؤشر للنمو الحضاري لهذه الفئات السكانية ضمن البيئة المحلية. ويهدف البحث للتوصل إلى تحقيق زمني من خلال المعثورات المتبقية. ولتحقيق هذا الهدف قام الباحث بزيارات، ميدانية متكررة وتوصل لتسجيل حوالي ٣٨ موقعاً في المنطقة. وأشار الباحث إلى بعض الدراسات السابقة في هذه المنطقة منذ عام ١٩٨١. وكان من ضمن المعثورات مجموعات من القبور وكميات كثيرة من أدوات الصيد وعظام الحيوانات وآثار لرماد. وقام بالتنقيب في موضعين من هذه المواقع. وفي ختام البحث قام بتأريخ هذه المواقع والمعثورات عن طريق الكربون ١٤ وخلص إلى أن مستوطني هذه المواضع استخدموا تقنيات في الصيد والالتقاط في محاولة منهم في التأقلم مع الواقع البيئي والتضاريسي للمنطقة.

والبحث الثاني (ص. ١٥ - ٣٣) بعنوان: (هل يمكن اعتبار الآبار الجوفية دليلاً على قيام مهنة رعي الماشية) لكارل جوهان ليندهول. وهذا البحث يركز على ما اكتشف من آبار للمياه الجوفية في الجزء الغربي من صحراء كلهاري في ناميبيا. وهي تناقش إمكانية الاستفادة من مثل هذه الآبار كدلائل على الاستيطان البشري والنشاط الحيواني للسكان. وقدم الباحث دراسته بخلفية جغرافية وبيئية وتضاريسية عن المنطقة وما تحتويه من أشكال طبيعية. وأشار إلى قلة الدراسات الأثرية للتأريخ الرعوي في المنطقة ولكنه أورد ما تم من بحوث ودراسات سابقة. وقرر أنه يوجد علاقة قوية بين الحياة الرعوية وحفر الآبار الارتوازية حيث تتطلب معيشة الناس مثل هذه الآبار للشرب والسقي خاصة مع تذبذب

سقوط الأمطار وشحها في بعض السنين. وقام بمسح آثاري في المنطقة وتسجيل ما شاهده من آبار فيها كما التقط عددا من الفخاريات الموجودة حول هذه الآبار. وأكد أن المناطق المحيطة بالآبار شهدت نشاطاً رعوياً كبيراً خاصة فيما يتعلق برعي الماشية. وتوصل إلى أن وجود الآبار يعتبر دليلاً معتبراً في تأكيد النشاطات الرعوية ويجب الاهتمام بها وتسجيلها وتوثيقها وتسجيل ما حولها من لقي ومعثورات. وختم بحثه بقائمة من المراجع.

والبحث الثالث (ص. ٣٤ - ٤٦) بعنوان: (توفيلونتين): فن الرسم على الصخور ذي دلائل محلية مهمة) لجون مولين. في هذه الدراسة أشار الباحث إلى قيامه وعدد من المرشدين السياحيين بزيارة منطقة توفيلونتين بهدف المسح والآثاري والعثور على رسومات الصخور وتسجيلها. وقدم الدراسة بوصف بيئي وتضاريسي للمنطقة التي تحتوي مجموعات من المرتفعات الجبلية والسهول الحصوية. وقد اعتبرت منطقة توفيلونتين كأحد النصب التذكارية منذ عام ١٩٥١ ثم أدرجت ضمن التراث العالمي. وأشار إلى التاريخ الحديث للمنطقة وما مرت به من أحداث معاصرة. ولما قام بجولته الميدانية عام ٢٠٠٤ اصطحب معه ٢٠ من المرشدين السياحيين. وهو بهذه الجولة سجل عدداً كبيراً من الرسوم الصخرية قام بها السكان المحليون على فترات مختلفة من التاريخ تصور تخيلاتهم وأفكارهم فيما يحيط بهم من حيوانات وأحداث.

والبحث الرابع (ص. ٤٧ - ٥٩) بعنوان: (نيمارا وما جور) موضعان محتملان لتحديد نوع الجنس في سلسلة جبال شوا بوسط موزنيق لسولانج ماكامو. قدم الباحث دراسته بوصف تضاريسي وجغرافي وبيئي للمنطقة مؤكداً أنها تحتوي مناظر طبيعية رائعة وأشجار وغابات مما يجعلها مكاناً مناسباً للسكنى والاستيطان. وقام الباحث نفسه بزيارة ميدانية للمنطقة واستعرض ما تم من دراسات سابقة وهي قليلة جداً. وأثناء زيارته الميدانية التقط عدداً من الكسر الفخارية استعرضها رسماً وتوضيحاً في ثانيا البحث وتوصل إلى استيطان بشري ونشاط حيائي يشير إلى تنوع في فئات السكان ذكوراً وإناثاً. وأكد الدور الكبير للمرأة في هذا النشاط.

والبحث الخامس (ص. ٦٠ - ٩٤) بعنوان: (الآثار في موضع خليج سينت أوجيستين، الواقع أسفل ووسط وادي أونيلاهي بجنوب غرب مدغشقر لسانتال راديملاهي وبارثليمي مانجاكاهيري ول.م. راكوتوازي. وكما أشار الباحثون الثلاثة إلى أن هذه الدراسة عبارة عن تجميع وإيجاز لما تم من أعمال أثرية واستكشاف وتنقيب في منطقة خليج سينت أوجيستين. ومن الجدير بالذكر أن الباحثين قاموا بمسح آثاري وبأعمال تنقيب في المنطقة المذكورة. وأشاروا في البداية إلى الطبيعة الجيولوجية والتضاريسية للمنطقة ومن تناولها بالدراسة والوصف من السابقين منذ سبعينيات القرن العشرين. كما استعرض الباحثون الدراسات الأثرية التي تمت في جنوب غربي وجنوبي جزيرة مدغشقر منذ ستينيات القرن العشرين وحتى ٢٠٠٤. ثم استعرضوا المسح الآثاري والتنقيبات في عام ٢٠٠٥. وشرحوا شرحاً وافياً لبعض الملتقطات الأثرية وخاصة الفخاريات وركزوا على المعثورات الموجودة على السطح. وتوصلوا إلى تأريخ هذه المعثورات في فترة تمتد من القرن العاشر إلى التاسع عشر الميلادي. وفي نهاية البحث جداول متعددة ومتنوعة تحتوي على قائمة بأسماء المواقع الأثرية في المنطقة وما تم العثور فيها من لقي وآثار وتاريخ لها.

والبحث السادس (ص. ٩٥ - ١٠٦) بعنوان: الاستكشافات الأثرية في كهف كومي بزنجبار عام ٢٠٠٥) لبول سينكلير وعبد الرحمن جمعة وفيليكس شامي. على الرغم من قلة صفحات هذا البحث مقارنة بما سبق إلا أنه من أمتع المقالات في هذا الكتاب من حيث التركيز والتحليل التاريخي والآثاري وتناوله للتاريخ القديم لجزيرة زنجبار المشهورة مع

استعراض لعدد من الدراسات السابقة. وقد أشار الباحثون أكثر من مرة لما سموه (الحضارة أو الثقافة السواحيلية) على اعتبار أنها وحدة شاملة للساحل الشرقي الأفريقي مع تنوع في مظاهرها وأشكالها كالأثار واللغة والأعراق. وابتدأ الباحثون بوصف بيئي وجغرافي لكهف كومي وموقعه في شرقي زنجبار ومساحته. ثم أشاروا إلى قيامهم بالبحث الميداني والمسح الأثاري في الكهف رابطين ذلك بما تم من دراسات حديثة جداً حول الكهف. وأكدوا أن كومي قد شهد استيطاناً بشرياً مبكراً أرجعوه إلى آلاف السنين. ووضعوا صوراً وجداول لما تم العثور عليه من لقي فخارية وأدوات حجرية وعظام. وأشاروا بشيء من المبالغة إلى أن معثورات هذا الكهف تعتبر أحد الدلائل الأثرية للحضارة السواحيلية في زنجبار وبالذات في النصف الثاني من الألف الثاني الميلادي مع مقارنة ما عثر عليه في مواضع أخرى من الساحل الشرقي لأفريقيا. وتوصلوا إلى قيام نوع من التبادل الاقتصادي بين المنطقة وبين سواحل المحيط الهندي الأخرى.

وبالبحث، السابع (ص. ١٠٧ - ١١٨) بعنوان: (هوية السكان الأصليين بزنجبار) لعبد الرحمن جمعة. والباحث هو المسلمين التنزانيين القلائل الذين خاضوا غمار علم الآثار وتميز بآرائه المتزنة وطرحه الموضوعي. وفي بحثه هذا يتحدث عن السكان الأصليين لجزيرة زنجبار وكيفية تواصلهم مع العالم الخارجي وهم من شعب البانتو الذين قدموا إلى الجزيرة واستقروا فيها عاملين في مجالي الزراعة والصيد منذ القرن السابع الميلادي. وأكد د. عبد الرحمن أن المجتمع السواحيلي الزنجباري هو مجتمع مختلط ثقافي وعرقي جمع بين العناصر الزنجية والآسيوية والعربية. وأشار إلى ثلاث مجموعات عرقية ضمن هذا المجتمع وهي الواتومباتو والواهيديمو والواييمبا. وهي مجموعات لها سلوكياتها الاجتماعية الخاصة بها. وذكر الباحث أن من أشهر مهن السكان الزنجباريين هي الزراعة صهر النحاس والصيد والرعي. ثم فسر معاني المجموعات الثلاث وبين أصولها اللغوية وأنها ظهرت مع ترسخ الوجود العربي الإسلامي في الجزيرة. واسترسل في تاريخ هذه المجموعات وصلاتها بالعرب المستوطنين ثم أورد عدداً من الدلائل الأثرية السابقة على حكم الأسرة الشيرازية في الساحل الشرقي الأفريقي والعائدة إلى النصف الأول من الألف الأول الميلادي ورجع إلى عدد من المصنفات العربية مثل كتابات الجاحظ وغيرها.

وبالبحث الثامن (ص. ١١٩ - ١٥٠) بعنوان: آثار ما قبل الإسلام في جزيرة كيلوا كيسواي، لفيليكس شامي. في هذه الدراسة الرائدة يحاول شامي جاهداً وجاداً التوصل إلى دلائل الاستيطان البشري في جزيرة كيلوا قبل مجيء المسلمين وإنشاء الإمارة الإسلامية فيها. وهو كعادته في كل بحوثه يبذل جهداً كبيراً ليثبت أن الازدهار الحضاري في الساحل الشرقي لأفريقيا يسبق إسلام الأهالي المحليين. على الرغم من قلة المعلومات الأثرية لفترة ما قبل الإسلام. وهذا البحث كما يصرح هو نفسه عبارة عن تقرير أثاري علمي حول البحث والتنقيب الأثاري في كيلوا بين شهري يناير وفبراير ٢٠٠٤. وقد أورد في بحثه هذا ما توصل إليه من نتائج تؤكد وجهة نظره من أسبقية (الحضارة السواحيلية) في الوجود على الساحل. واستعرض ناقداً ومحصلاً لما توصل إليه السابقون من نتائج أثرية أجريت في الموضع. ومن خلال استعراض اللقى الأثرية من فخاريات وحرز وأدوات حجرية وغيرها أكد أن بلدة كيلوا الإسلامية تقوم على أو بالقرب من بلدة أسبق منها ازدهرت قبل الفترة الإسلامية. وقدم شرحاً وافياً للمعثورات معزز بالرسومات والصور والخرائط. وخلص إلى أن ما حصل عليه من عمله الميداني التنقيبي يدل على وجود استيطان بشري وحراك سكاني في موقع كيلوا قبل مجيء الإسلام.

والبحث التاسع (ص. ١٥١ - ١٦٦) بعنوان: (تقرير تحليلي حول المواد التعدينية من موقع نجوروني في كيلوا كيسواني بجنوب تنزانيا) لبيتران مابوندا وفيليكس شامي. وهذه الدراسة استكمال لما بدأه شامي في دراسته السابقة ولكن مع التركيز على النشاط السكاني والعمل المهني والحرفي للأهالي في موقع نجوروني بكيلوا كيسواني. وابتدأ الباحثون باستعراض تأريخ العمل الحرفي في الساحل الشرقي الأفريقي وبالذات فيما يتعلق بصهر المعادن واستخراجها والعمل فيها مع تبيان الدلائل الأثرية من خلال جداول تشرح هذا الأمر. كما تم إجراء عدد من التحليلات الكيميائية والفيزيائية على المعثورات المعدنية ووضع جداول خاصة بها مع ذكر نتائج هذه التحليلات في هذه الجداول. ويخلص الباحثون إلى أنهم قاموا بتحليل ودراسة ١٧٤ عينة من خبث المعادن وخاصة الحديد والنحاس وأكدوا أن الأهالي قد امتنوا حرفة صهر المعادن في الفترة التاريخية التي سموها بـ (والفترة السواحيلية). وهي بلا شك تتركز أغلبها في الفترة الإسلامية للساحل.

والبحث العاشر (ص. ١٦٧ - ١٨١) بعنوان: (الاستكشافات الأثرية في موقع كايا باقي؛ مستوطنة

ميجيكيندا القديمة) لهيرمان كيرياما و محمد مشوللا و جورج غاندي و فيليب وانياما. وهذا الموضع يقع على الساحل الكيني. ويتضح من خلال العنوان والمضمون أن يتحدث عن إجراء عدد من التنقيبات الأثرية في موضع كايا باقي حيث دلت على وجود مستوطنة بشرية ذات نشاط حياتي متعلق بالصيد البري والبحري والزراعة. وقد أجرى الباحثون الأربعة عدداً من المحسات الأثرية والمسح والتنقيب في الموقع. وكان من أهم معثوراتهم الفخار بنوعيه المزخرف والعادي وكان من ضمنها مجموعة من الكسر الفخارية التي جلبت من خارج الساحل. وكذلك كميات من العظام وخبث الحديد والخز الملون والأصداف والأدوات الحجرية. مع الإشارة أن هذا العمل الميداني لم يكن الوحيد الذي أجري في المنطقة. وبناء على التحليل والمقارنات والروايات الشفهية أن بدايات الاستيطان في الموضع كانت في أوائل القرن السابع الميلادي ولكن كثافة الاستيطان كانت في القرن السادس عشر الميلادي.

والبحث الحادي عشر (ص. ١٨٢ - ١٩٣) بعنوان: (تقرير أولي عن الاستكشافات الأثرية في موضع

كاموكومي حيث كانت توجد قرية زراعية في وسط وادي الزمبيري بشمال زيمبابوي) ليسيكى كاتسامودانجا وجيلبيرت بوتي. يستعرض الباحثان في هذه الدراسة أيضاً نتائج التنقيب الأثري في موقع كاموكومي الذي جرى في شهر يوليو ٢٠٠٥. وابتدأ الباحثان بوصف بيئي وجغرافي للموقع والمناطق المحيطة به من أنهار وجبال. ومن خلال اللقى السطحية الفخارية يتضح أن المكان ربما يصل زمنياً إلى فترتي الجماعات الزراعية المبكرة والمتأخرة مع ملاحظ أن أحد روافد نهر الزمبيري وهو موسيجيزي يقسم الموقع نصفين مما يشير إلى حدوث زوال أو تلف في اللقى والمعثورات والأبنية نتيجة

لفيضان النهر أو تغير موضع جريانه عبر العصور. وقد أجرى الباحثان عدداً من المحسات وحفراً أكثر من خندق في الموضوع. وفي ختام الدراسة عرضاً ما تم العثور عليه من لقي وأهمها الفخار المزخرف والعادي وخبث النحاس.

والبحث الثاني عشر (ص. ١٩٤ - ٢١٣) بعنوان: (تحليل ودراسة فخار موضع كاموكومي) لروبرت سوبر. وهذه الدراسة هي تكميلية للدراسة السابقة ولكنها تركز على الفخار المعثور عليه في موقع كاموكومي. وقد بدأ الباحث بتسجيل الفخار حسب النوع واللون ومادة الصلصال والكسر الفخارية وجمع كل ذلك في جدول تفصيلي. وبين ما عثر عليه بن جرار كاملة وهي قليلة مقارنة بالكسر الكثير. وشرح أنواع الكسر بالتفصيل بدءاً من الفوهة إلى القاعدة مروراً بجدران الفخار. كما ناقش طريقة الزخرفة ونوعيتها واضعاً ذلك ضمن جداول دقيقة وشاملة مؤرخاً هذه الفخاريات بفترة تتراوح بين نهايات الألف الأول ومنتصف الألف الثاني الميلاديين. وأرفق ذلك بمجموعة من الصور والرسومات.

والبحث الثالث عشر (ص. ٢١٤ - ٢٢٣) بعنوان: (فخاريات قديمة من موقع أويو: من موضع التنقيب إلى مكان العرض) لسي فولورونسو و ب. توبسون و ب. أجيكيجي. في هذا البحث شرح الدارسان كيفية استخراج الفخاريات من موضع أويو بوسط نيجيريا ثم تنظيفها ثم نقلها للعرض لتكون في متناول الدارسين وطلبة العلم والزائرين. وقدما الدراسة بالحديث عن رأي عامة الجمهور في الآثار ووجهة نظرهم في المعثورات والمواقع الأثرية وكيفية تعاملهم معها. ثم تحدثا عن إجراء التنقيبات الأثرية في الموضع المليء بالجرار والأواني الفخارية بمختلف الأحجام والأشكال مصطحبين معهم مجموعة من طلبة الآثار في محاولة منهما في دمج هؤلاء الطلبة في العمل الميداني المباشر والتعامل الحسن مع المعثورات. ثم بينا طريقة استخراج المعثورات ثم نقلها إلى المختبر وتنظيفها وترميمها وإصلاحها ثم وضعها في المتحف.

والبحث الرابع عشر بعنوان: (آثار وإثنوغرافيا قبائل موتوندا بشمال) أوغندا لكياجا موليندوا. يركز البحث على آثار شعب بالو في شمالي أوغندا من خلال العديد من المخلفات الأثرية في مواضع سكناه وإقامته للتعرف على أصوله وتواصله مع الآخرين. واستعرض الباحث في خلفية تاريخية موجزة حول هجرة السكان واستقرارهم في المنطقة الشمالية من أوغندا منذ القرن السادس عشر الميلادي. بعدها أسهب الباحث في الحديث عن السلوكيات الاجتماعية والاقتصادية لشعب بالو من خلال العبادة الطوطيمة الأولى لدى السكان ومن خلال تحليل الأواني الفخارية المستعملة في الطقوس التعبدية وأشكالها المختلفة وأحجامها المتعددة. وقد أجرى الباحث تنقيباً أثرياً في المكان ووضع جدولاً لكل المعثورات وأكثرها من الفخار المزخرف والمزين. وتوصل إلى أن شعب بالو ظل محافظاً على التقاليد نفسها التي مارسها الآباء والأجداد وخاصة فيما يتعلق بصناعة الفخار واستعمالها في الطقوس التعبدية. ثم أرفق في ختام البحث بصور ورسومات لهذه الفخاريات.

من خلال استعراض كل المقالات والبحوث في الكتاب نود إبداء عدد من الملاحظات:

- ١- أن أغلب الباحثين من علماء الآثار الأفارقة مما يشير إلى توليهم قضايا النشر ومسائل البحث العلمي في بلدانهم بعدما كان الاعتماد الكلي على الأوربيين.
- ٢- الكتاب عبارة عن مساهمة في الكشف عن تاريخ وآثار القارة الأفريقية.
- ٣- التركيز على كل ما يتعلق بأفريقيا جنوب الصحراء الكبرى.
- ٤- محاولة إبراز الحضارة الأفريقية بأوجهها المختلفة منذ ما قبل الإسلام وحتى العصر الحديث.
- ٥- تركيز البعض على التاريخ الأفريقي السابق للإسلام بهدف تبيان أن الأفارقة كانوا يمتلكون أسس الحفارة والرقى.
- ٦- لجوء البعض إلى قراءات متعسفة لآثار أفريقيا قبل الإسلام لإثبات تحضر السكان وتمدّنهم وأن الإسلام لم يزدّهم إلا القليل وهذا ما يظهر دائماً في كتابات فيليكس شامي.
- ٧- تبيان تواصل القارة الأفريقية مع العالم الخارجي منذ قرون سبقت الميلاد.
- ٨- تنوع ميادين البحث الآثاري والتاريخي في أفريقيا بحيث شمل آثارها منذ العصور الحجرية إلى العصر الحديث.